خطبة ألقاها

الشيخ أ.د. سليمان بن سليم الله الرحيلي

أستاذ كرسي الفتوى بالجامعة الإسلامية والمدرس بالمسجد النبوي الشريف

يوم ١٣ ربيع الأول ١٤٣٩ بالمدينة النبوية

[الخطبة الأولى]

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا، من يهد الله فلا مُضلّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء:١]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١]

أمّا بعد: فإنّ أحسن الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرّ الأمور محدثاتها، وكلّ محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النار، ثم يا عباد الله:

إن أمر المؤمن أمر عجيب، فمهما تقلّبت به الأحوال فهو في خيرٍ من الله، ما دام لازماً شرع الله، يقول النبي ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن، إنّ أمره كلّه له خير، وليس ذلك إلا للمؤمن، إن أصابته سرّاء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خيراً له».

وإن مما يُبتلى به المؤمن في دنياه -يا عباد الله-: الهموم والغموم، وإن الكثيرين منا في هذا الزمان تُصيبهم هموم كثيرة، وغموم كبيرة، مما يجعل بعضهم لا يُحسن التصرّف، فقد تَضيق نفسه بالدنيا، ويُصيبه الحُزن الدائم، بل قد يصل الأمر به إلى أن يدخل في الاكتئاب، وقد يُطلّق الرجل امرأته بسبب الهموم والغموم، وقد تَطلُب المرأة الطلاق من زوجها بسبب الهموم والغموم، بل قد يبلغ الأمر ببعض الناس أن يدخل إلى الإجرام، فيرتكب جُرماً كبيراً بأن يقتل نفسه، يظنّ أنه بذلك يفرّ من الهموم والغموم.

وإن ديننا العظيم -يا عباد الله- الذي جاءنا بكل خير، وحذّرنا من كل شر، قد جاء بعلاج الهموم والغموم.

فمن علاج الهموم والغموم: الصبر والصلاة، أن يصبر المؤمن صبر العالم المُوقِن بمآلات الأمور، وأنّ ألم الهمّ يَعقُبه سرور عظيم، وأن يصلي المؤمن صلاة الخاشعين، يقول ربنا ﷻ: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [البقرة:٤٥].

وكان النبي ﷺ إذا حزبه أمر -أي اشتدّ به أمر من أمور الدنيا- صلى ﷺ، وكان يقول: «أرِحنا بها يا بلال».

وقال نبينا ﷺ: «ما يصيب المسلم من نصَب، ولا وصَب، ولا همّ، ولا أذى، ولا حُزْن، ولا غمّ، حتى الشوكة يُشاكها، إلا كفّر الله عنه بها من خطاياه».

فالصبر والصلاة علاج الهموم والغموم -يا عباد الله-.

ومن علاج الهموم والغموم: كثرة الصلاة على حبيبنا ﷺ، بأن يجعل المؤمن من دعائه في يومه دعاءً يجعله كلَّه صلاةً على النبي ﷺ.

وهذا لا يعني أن المؤمن لا يدعو، ولا يسأل الله شيئاً، بل يدعو، ويسأل الله ما يحبّ، ولكنه يجعل من دعائه في يومه دعاءً يجعله كلَّه للصلاة على النبي ﷺ، فإن أُبيّاً رضي الله عنه قال للنبي ﷺ: يا رسول الله، إني أُكثر من الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي؟ فقال النبي ﷺ: «ما شئت»، فقال: فالربع؟ قال: «ما شئت، فإن زدتَ فهو خير لك»، قال: فالنصف؟ قال: «ما شئت، فإن زدتَ فهو خير لك»، قال: فالثلثين؟ قال: «ما شئت، فإن زدتَ فهو خير لك»، قال: أجعل لك صلاتي كلها -أي أجعل لك دعائي كله-؟ هذا الدعاء الذي يخصّه بكثرة الصلاة على النبي ﷺ.

فماذا قال حبيبنا، ونبينا ﷺ؟ قال: «إذَن تُكفى همَّك، ويُغفر لك ذنبُك»، وفي رواية: «إذَن يَكفيك الله ما همَّك من أمر دُنياك وأُخراك».

فإذا جعلت -يا عبد الله- من دعائك في اليوم دعاءً تجعله كله صلاةً على النبي ﷺ يجازيك الله بأن يكفيك ما همّك من أمور دينك، ومن أمور آخرتك.

ومن علاج الهموم والغموم -يا عباد الله-: كثرة الدعاء، فإنه كان من دعاء نبينا ﷺ: «اللهمّ إني أعوذ بك من الهمّ والحَزَن».

وقال النبي ﷺ: «ما أصاب أحداً قطّ همٌّ ولا حُزْن، فقال: اللهمّ إني عبدك، وابن عبدك، وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيّ حكمُك، عدلٌ فيّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سمّيت به نفسك، أو علّمته أحداً من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجِلاء حُزْني، وذَهاب همّي، إلا أذهب الله همّه وحُزنه، وأبدله مكانه فرحاً» -إلا أذهب الله همّه وحُزنه، وأبدله مكانه فرحاً!

من الذي يخبر بهذا؟ إنه الصادق المصدوق ﷺ، فقال الصحابة: أفلا نتعلّمها يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «بلى، ينبغي لمن سمعها أن يتعلّمها».

وقال النبي ﷺ: «دعوات المكروب: اللهمّ رحمتَك أرجو، فلا تَكِلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت» -دعوات المكروب: اللهمّ رحمتَك أرجو، فلا تَكِلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت.

وكان النبي ﷺ إذا أصابه كَرب يقول: «يا حي يا قيوم، برحمتك أستغيث» -يا حي يا قيوم، برحمتك أستغيث».

ومن علاج الهموم والغموم -يا عباد الله-: ذكر الله عند الخروج من المنزل.

يقول النبي ﷺ: «إذا خرج الرجل من بيته فقال: باسم الله، توكّلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له: حسبك، فقد كُفيت وهُديت ووُقيت» -يعني كُفيت ما يُهِمّك في ذلك اليوم-، «ويتنحّى عنه الشيطان، فيلقى الشيطانُ شيطاناً آخر، فيقول له: كيف لك» -كيف لك!- «برجل قد كُفي وهُدي ووُقي؟»

ومن علاج الهموم والغموم -يا عباد الله-: الذكر الذي علّمه رسول الله ﷺ لأمته عند حصول الهمّ والكرب.

يقول النبي ﷺ: «من أصابه همّ، أو غمّ، أو سُقم، أو شِدّة، فقال: الله ربي لا شريك له، كَشف ذلك عنه» -من أصابه همّ، أو غمّ، أو سُقم، أو شِدّة، فقال: الله ربّي لا شريك له، كَشف ذلك عنه.

بل كان النبي ﷺ يوصي بذلك أهل بيته، فعن أمّنا عائشة رضي الله عنها قالت: جمع النبي ﷺ أهل بيته، فقال: «إذا أصاب أحدكم كَرب أو غمّ فليقل: الله، الله ربّي، لا أشرك به شيئاً» -الله، الله ربّي، لا أشرك به شيئاً.

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: علَّمني رسول الله ﷺ إذا نزل بي كَرب أن أقول: (لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله، وتبارك الله رب العرش العظيم، والحمد لله رب العالمين) -لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله، وتبارك الله رب العارش العظيم، والحمد لله رب العالمين.

ومن علاج الهموم والغموم -يا عباد الله-: النية الصادقة، وتعليق القلب بالله، وحسن الظن بالله.

يقول النبي ﷺ مبشّراً: «من جعل الهمّ همّاً واحداً كفاه الله همّ الدنيا، ومن تشعَّبَته الهموم لم يُبالِ الله في أي أودية الدنيا هلك».

من جعل الهمّ همّاً واحداً كفاه الله همّ الدنيا: وقد فسَّر هذا الحديثَ حديثٌ آخر، قال فيه النبي ﷺ: «من كانت الآخرة همَّه جمع الله له أمره، وجعل الله غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همَّه فرّق الله عليه أمره، وجعل الله فقره بين عينيه، و لم يأتِه من الدنيا إلا ما كتب الله له».

فإذا أردت -يا عبد الله- أن يُذهب الله عنك الهموم والغموم، وأن يرزقك القناعة، وأن يرزقك السعادة، وأن يرزقك الطمأنينة في قلبك، فاجعل همّك، واجعل قلبك، متعلّقاً بالآخرة.

انظر إلى ما يُرضي الله عز وجل، وعلِّق قلبك به، فإنك إن فعلت ذلك كفاك الله همّ الدنيا، وجعل غناك في قلبك، ورزقك من الدنيا ما كتب لك.

هذه -يا عباد الله- بعض علاجات الهموم والغموم، التي جاءت في كتاب ربنا، وصحت بها سنة رسولنا ﷺ.

فاحمدوا الله -يا عباد الله- أن جعلكم مسلمين، وإن أصابكم ما يسرّكم فلا تغترّوا، واشكروا رب العالمين، واعلموا أن المعطي يمكن أن يأخذ، ويمكن أن يمنع، وأن هذه النعم لا يقيّدها إلا شكر رب

العالمين، وإن أصابكم ما يسوءكم فلا تيأسوا، وارجوا الخير من الله، فإن أمر المؤمن كله له خير، إن أصابته سرّاء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خيراً له، وليس ذلك إلا للمؤمن.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد فيا عباد الله:

إن من أعظم أسباب الهموم التي تُصيب الناس: الدَّين، فلا ينبغي للإنسان أن يستدين إلا من حاجة، وإذا استدان فإن الشرع جاء له بما يُذهب همّه وغمّه.

ومن ذلك: أن يسبق دينَه نيةٌ صالحة بأن يؤدّي الدين، وأن يفي بما عليه، يقول النبي ﷺ: «ما من عبد يدّان ديناً وهو يريد قضاءه، إلا أدّاه الله عنه في الدنيا».

ما من عبد يدّان ديناً -أي يستدين ديناً- وهو يريد قضاءه -أي ينوي في قلبه نيةً صادقة يعلمها الله ﷻ أن يقضيه، وأن يؤدّيه- إلا أدّى الله عنه ذلك الدين وهو في الدنيا قبل أن يموت.

ومن علاج همّ الدين -يا عباد الله-: أن يُكثر العبد من دعاء الله ﷻ، فإنه كان من دعاء نبينا ﷺ: «اللهمّ إني أعوذ بك من الهمّ والحَزَن، والعجز والكسل، والجُبن والبُخل، ومن ضَلَع الدين، وغلبة الرجال».

وكان من دعاء نبينا ﷺ: «اللهمّ إني أعوذ بك من غلبة الدين، وغلبة الرجال، وشماتة الأعداء».

وجاء رجل إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، فقال: يا أمير المؤمنين، إني قد عجَزت عن مكاتبتي، فأعِنّي، فقال له علي ﷺ: ألا أعلّمك كلمات علّمنيهنّ رسول الله ﷺ، لو كان عليك مثل جبل صِيرٍ -وهو جبل كبير جدّاً- دنانير -أي ديناً- أدّاه الله عنك؟ قال الرجل: بلى يا أمير المؤمنين، فقال: (اللهمّ اكفِني بحلالك عن حرامك، وأغنِني بفضلك عمّن سواك) -اللهمّ اكفِني بحلالك عن حرامك، وأغنِني بفضلك عمّن سواك.

فمن دعا بهذا الدعاء كان موعوداً بأن يؤدّي الله عنه دينه، وأن يعينه على الوفاء، ولو كان الدين مبلغاً كبيراً.

ألا فاتقوا الله عباد الله، وتمسّكوا بدين الله ﷻ، وتعلّموا شرع الله، وأقبِلوا على سنة رسول الله ﷺ؛ أحبّوها، واقرأوها، والزموها، واعملوا بما فيها، فإن لكم في ذلك سعادة الدنيا، والفوز في الأخرى.

ثم اعلموا -رحمني الله وإياكم- أن الله أمرنا بأمر عظيم، بدأ فيه بنفسه، ثم ثنّى بملائكته، فقال -عزّ مِن قائل-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب:٥٦].

وقال النبي ﷺ: «من صلّى عليّ واحدةً صلّى الله عليه عشراً».

وقال ﷺ: «من صلّى عليّ صلاةً واحدةً صلّى الله عليه عشر صلوات، وحطّ عنه عشر خطيئات، ورفع له عشر درجات».

وقال ﷺ: «ما من عبد يُصلّي عليّ إلا صلّت عليه الملائكة، ما دام يُصلّي عليّ».

فاللهمّ صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وسلّم تسليماً كثيراً.

وارضَ اللهمّ عن الصحابة أجمعين، وارضَ اللهمّ عن الصحابة أجمعين، وارضَ اللهمّ عن الصحابة أجمعين، وارضَ عنّا معهم بمنّك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

اللهمّ ارضَ عنّا وأرضِنا، اللهمّ ارضَ عنّا وأرضِنا، اللهمّ ارضَ عنّا وأرضِنا.

اللهمّ يا ربنا، اجعلنا من السعداء في الدنيا، والفائزين في الأُخرى، اللهمّ اجعل سعادتنا العظمى برؤية وجهك الكريم يا رب العالمين.

اللهمّ يا ربنا، اجعلنا، وأهلَنا، ووالدينا، وأحبابنا، وجيراننا، جميعاً من أهل الجنة يا رب العالمين، اللهمّ لا تحرم منّا أحداً، اللهمّ لا تحرم منّا أحداً، اللهمّ لا تحرم منّا أحداً.

اللهمّ رحمتَك نرجو، اللهمّ رحمتَك نرجو، فلا تكِلنا إلى أنفسنا طرفة عين، وأصلح لنا شأننا كلّه، لا إله إلا أنت.

اللهمّ اكفِنا بحلالك عن حرامك، وأغنِنا بفضلك عمّن سواك، اللهمّ اكفِنا بحلالك عن حرامك، وأغنِنا بفضلك عمّن سواك، اللهمّ اكفِنا بحلالك عن حرامك، وأغنِنا بفضلك عمّن سواك.

اللهمّ يا ربنا، إنك أعلم بنا من أنفسنا، فمن علمته من جمعنا مهموماً، أو مغموماً، أو مكروباً، أو مديناً، اللهمّ فارفع عنه ما أهمّه، وفرِّج عنه كربه، واقضِ دينه يا رب العالمين، لا إله لنا سواك، ونحن عبادك الضعفاء، الفقراء، قد اجتمعنا في بيت من بيوتك، ونحن نحمِل أوزاراً عظيمة، ظلمنا أنفسنا ظلماً كثيرا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لنا أجمعين مغفرةً منك يا رب العالمين.

ربنا اغفر لنا ولوالدينا، ربنا اغفر لنا ولوالدينا، ربنا اغفر لنا ولوالدينا.

اللهمّ يا ربنا، لا حول لنا ولا قوة إلا بك، نادَيتنا إلى هذه الفريضة، فأتينا بعونك وفضلك يا رب العالمين، واجتمعنا في هذا المسجد، اللهمّ فلا تفرّقنا عن الجنة يا رب العالمين، اللهمّ اجعلنا مجتمعين في الجنة، إخواناً على سُرر متقابلين، إخواناً على سُرر متقابلين، إخواناً على سُرر متقابلين.

إلهنا إنا ضعفاء، لا نقوى على النار، اللهمّ فأعِذنا من النار، اللهمّ فأعِذنا من النار، اللهمّ فأعِذنا من النار.

اللهمّ إنا نعوذ بك من عذاب القبر، وعذاب النار، وفتنة المحيا والممات، وفتنة المسيح الدجّال.

اللهمّ لا تعذِّبنا، اللهمّ لا تعذِّبنا، اللهمّ لا تعذِّبنا.

اللهمّ أعتِق رقابنا من النار، اللهمّ أعتِق رقابنا، ورقاب آبائنا وأمهاتنا، ورقاب أهلينا وذرياتنا، ورقاب أحبابنا، من النار يا رب العالمين.

لا حول لنا ولا قوة إلا بك، لا حول لنا ولا قوة إلا بك، لا حول لنا ولا قوة إلا بك.

يا حي يا قيوم، برحمتك نستغيث، يا حي يا قيوم، برحمتك نستغيث، يا حي يا قيوم، برحمتك نستغيث.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

والله تعالى أعلى وأعلم، وصلى الله على نبينا وسلم.